« ٤ »

زياد بن أبيه للصغير والكبير

«لله درُّ هذا الغلام !! لو كان
قرشياً لساق الناس بعصاه ! »

[عمر بن الخطاب]

◘ زياد بن أبيه فى سطور ◘

(٠٠٠ ـ ٥٣ هـ = ٠٠٠ ـ ٦٧٣ م)

زياد بن أبيه : رابع الدهاة ... وهو أحد الأمراء الولاة والقادة الفاتحين من أهل الطائف !

واختلفوا فى اسم أبيه فقيل : عبيد الثقفى .

وقيل : أبو سفيان .

ولدته أمه «سميّة» جارية الحارث بن كلدة الثقفى فى الطائف. وتبناه عبيد الثقفى «مولى الحارث بن كلدة» . قيل : إنه ولد فى السنة الأولى للهجرة ، وأسلم فى عهد أبى بكر .

فلما شب استكتبه «أبو موسى الأشعرى» أيام إمرته على البصرة كما أن عمرَ ـ رضى الله عنه ـ كان يعهد إليه بكثير من المهمات ، وما لبث أن استثار إعجاب الناس بفصاحته ، وحسن درايته ، حتى قيل : إن «عمرَو بنَ العاص» لما شاهده قال :

لِلَّهِ دَرُّ هذا الغلام ، لو كان قرشيًّا لساق الناسَ بعصاه» .

وقد كان أبو سفيان حاضراً فقال : إنى أعرف أباه !

فقال عمرو : من ؟ قال : أنا هو !!

وظل أمر إلحاق نسبه بأبى سفيان فكرة تراود الأذهان حتى آل الأمر إلى معاوية فكان من أمرهما ما كان !!

وذلك أن «معاوية» كان يحاول أبداً ، أن يجمع الأمويين على مبايعة ابنه يزيد بولاية العهد ، وكان هؤلاء يلتمسون شتى الأعذار ليتنصلوا من هذه المبايعة ، فعمد معاوية ـ فى دهائه ـ إلى استلحاق زياد بنسبة ، بعد أن أقام على ذلك اثنين من الشهود ، وما عتم أن استدعى الأمويين ، وأعلن لهم أنه قرر أن يكتب ولاية العهد لزياد ، فصعق هؤلاء وقالوا : «ألف يزيد ولا زياد» !!

وهكذا تمت البيعة لابنه ، إلا أن الخليفة فى الواقع لم يستلحق زياداً بنسبه لهذه الغاية ، وإنما أراد أن يُفيدَ من حنكته ، وحسن درايته للأمور !

وقد عينه والياً على «البصرة» فضلاً عن خُراسان وسِجستان .

وقد كانت «البصرة» عندما وفد إليها مسرفة بالفسوق والفساد ، كما أن الدعوات المناوئة للأمويين كانت مستفحلة بها ؛ فعمد إلى القسوة والرهبة ، فاستقام أمرها حتى قيل : «إن الشىء كان يسقط من يد الرجل أو المرأة ، فما تُمَد إليه يد ، حتى يعود صاحبه ، فيجده فى مكانه فيأخذه» .

وأسندت إليه ولاية الكوفة أيضاً فجُمع له المِصران : الكوفة والبصرة ! ولم تكن الكوفة والبصرة وحدهما هما التابعتين لزياد ، وإنما امتد حكمه إلى نصف الإمبراطورية الشرقى برمته ، هذا النصف الذى تم فتحه من البصرة .

على حين تركز اهتمام معاوية فى الغرب .

وإذا قورن «زياد» رابع الدهاة بالمغيرة ثالثهم رجَحَه «المغيرة» ، فالمغيرة حقق الهدف الذى حققه «زياد» بضحايا أقل ، وذلك مقياس عظمة الرجال !

على أن النظام الذى اتبعهُ زياد كان فى رأى بعض المؤرخين أشبه بالأحكام العرفية فى زماننا تلك التى تلجأ إليها بعض الدول فى الظروف الخاصة ويُمَدّ العمل بها إلى أجل غير مسمى !، ومن أجل هذا يصفونه بالداهية الطاغية !، فقد وضع للعامّة طريقين : الطاعة والسيف . وعلى كل فسوف يظل زياد مرتبطاً بإخضاع العِراقَيْن :

فقد كان والياً لعلِيٍّ علَى فارس ، ثم تولّى لمعاوية على البصرة من سنة ٤٥ هـ ، ثم عليها وعلى الكوفة سنة ٥١ هـ بعد المغيرة بن شعبة .

ولم يزل زياد فى ولايته إلى أن توفى سنة ٥٣ هـ .

◘ كلمات زياد ونظراته الصائبة فى الناس والحياة ◘

يقول البلاغيون : الرجل هو الكلمة ، وقد حفلت كتب التاريخ والأدب بكلمات زياد ، وسوف أسوقها إلى القارىء الكريم ليحكم له أو عليه .

ويقينى أن الكثيرين سوف يستفيدون فى مجال عملهم من سياسته فى الحكم ، فيُعيدون ترتيبَ أوراقهم ، وتعديلَ أساليبهم ، فليس منا إلا مَنْ هو راعٍ ومسئول عن رعيته .

وسوف يرى الكثيرون أن الإدارة فنّ له أصول وقواعد بدونها ينهار البناء ، ويذهب مع الريح !

◄ الثواب والعقاب بين التأجيل والتعجيل :

يقول زياد : «إن تأخيرَ جزاءِ المحسن لُؤم ، وتعجيلَ عقوبة المسىء دناءة» .

«والتَّثبُّت فى العقوبة رُبَّما أدّى إلى سلامة منها» .

«وتأخير الإحسان ربما أدى إلى ندمٍ يُمْكن صاحبه أن يتلافاه[1] !» .

◄ قيمة الكلمة :

وكان زياد يزن الكلمة بميزان دقيق ، ومن أجل هذا راح يُحَذّر من إطلاق العِنان للسان فيقول على المنبر : «إن الرجلَ لَيَتَكَلّم بالكلمة ، لا يقطع بها ذَنَبَ عنز مَصُور[2] لو بلغت إمامَه سفكت دَمَه» .

◄ رسائلنا وكتبنا مرآة عقولنا :

وكان زياد لمّاحاً ذكياً يقرأ ما بين السطور ، ويتعرف على الشخصية من خلال الكلمات فهو يقول : «ما قرأت كتابَ رجل قط إلا عرفتُ عقله فيه» .

◄ معرفة أقدار الناس :

وكان زياد يعرف للناس أقدارَهم ، ولا يسمح أن يستخفّ أحد بمن هو أهل

---

(١) نثر الدر للآبى المتوفى سنة ٤٢١ هـ . وقد أفرد فصلاً لكلامه .

(٢) مصور : بطيئة خروج اللبن .

التقدير والاحترام ، فيقول : «استوصوا بثلاثة منكم خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ ! » .

«فوالله لا يأتينى شريف بوضيع يستخف به إلا انتقمت منه . ولا يأتينى شيخ بشاب استخفّ به إلا أوجعته ، ولا يأتينى عالم بجاهل استخف به إلا نكّلت به ! » .

فهل يجد هؤلاء الثلاثة فى عصرنا من يرعاهم ويغار على حرماتهم ، وينتصف لهم ؟!

◄ الحظ عند زياد !

قيل لزياد : ما الحظ ؟

قال : من طال عمره ، ورأى فى عدوه ما يسره ، فهو ذو حظ .

◄ سياسة العامة عند كل من معاوية والمغيرة وزياد :

وكان يقول :

«هما طريقان للعامة : الطاعة ، والسيف» .

أما معاوية : فكان لا يضع سيفه حيث يكفيه لسانه .

وكان «المغيرة بن شعبة» لا يلجأ إلى السيف إلا بعد استنفاد كل الوسائل الممكنة لحمل الرعية على الطاعة فيقول :

«لا والله حتى يُحْمَلوا على سبعين طريقاً قبل السيف» .

◄ مدى شِدّته !

قال بعضهم : ما رأيت زياداً كاسراً إحدى عينيه ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ، يخاطب رَجُلاً ـ إلا رحمتُ المخاطب[1] !

◄ الإمارة فى رأيه :

وكان زياد يرى الإمارة أجمل شيء لولا ما كان يتهدد الأمير من : وصول البريد بين لحظة وأخرى بعزله !.

(١) وقلت أيضاً فى معاوية كما سبق .

ولولا ارتقاء المنابر ، ومواجهة الجموع ، وما يستدعيه ذلك من قدرة بيانية مؤثرة فيقول :

«نعم الشيء الإمارة ، لولا قعقعة البريد ، وتشرّف المِنْبَر !!» .

◄ أهمية البصرة فى نظره !

وتذاكروا عند زياد : البصرة والكوفة ، فقال زياد : لو ضلت البصرة جَعَلْت الكوفة لمن دلنى عليها !

◄ الزمان ... والسلطان !

سمع زياد رجلاً يسب الزمان : فقال : لو كان يدرى ما الزمان لقطعت عنقه ! إن الزمان هو السلطان !

◄ الأربعة الذين لا يُحجَبُون (أصحاب القضايا العاجلة) :

قال زياد لحاجبه :

ياعجلان . إنى وليتك هذا الباب ، وعزلتك عن أربعة :

عزلتك عن : هذا المنادى إذا دعا للصلاة ، فلا سبيل لك عليه .

وعن : طارق الليل ، فَشَرٌّ ما جاء به ، ولو جاء بخير ما كنت من حاجبه .

وعن : رسول صاحب الثغر ؛ فإن إبطاء ساعة يفسد تدبير سنة !، فأدخلْه عَلَىّ وإن كنت فى لحافى .

وعن : هذا الطباخ إذا فرغ من طعامه ، فإنه إذا أعيد عليه التسخين فسد .

◄ ماذا يعجبه من الرجل ؟

وكان يقول : يعجبنى من الرجل إذا سِيمَ خُطة[1] الضَّيم أن يقول : «لا» بمِلْءِ فيه .

وإذا أتى نادىَ قوم علم أنه ينبغى لمثله أن يجلس فجلس . وإذا ركب دابةً حملها على ما يحب ، ولم يتبعها إلى ما يكره .

---

(١) أرغم على قبول الذل .

◄ نظرته إلى البخيل والجواد :

كان يقول : كفى بالبخيل عاراً أن اسمه لم يقع فى حمدٍ قط . وكفى بالجواد مجداً أن اسمه لم يقع فى ذم قط .

◄ أساس الحكم عند زياد :

وقال زياد : مِلاكُ السلطان : الشدة على المريب ، واللّين للمحسن ، والوفاء بالعهد ، وصدق الحديث .

◄ موقفه مما له ، وما ليس له :

ويقول زياد : ما أتيت قطّ مجلساً إلا تركت ما لو أخذته لكان لى . وترك ما لى أحب إلىّ من أخذ ما ليس لى .

◄ موقفه من الجاهل :

وقال زياد : لا يغُرنك من الجاهل كثرة الالتفات ، وسرعة الجواب .

◄ من توجيهاته :

سمع رجلاً يدعو عليه وهو يقول : اللّهم اعزل عنّا زياداً !!

فقال له : قل : وأبدلنا به خيراً منه !

◄ من وصيته لابنه :

قال لابنه عبيد الله عند موته : لا تدنس عِرضك . ولا تبذلن وجهك .

ولا تُخْلِقَنَّ جِدّتك[1] بالطلب إلى من إن ردك كان ردّه عليك ، وإن قضى حاجتك جعلها عليك منًّا .

فاحتمل الفقر بالتَّنَزُّه عما فى يد غيرك ، والزم القناعة بما قسم لك ، فإن سوء حمل الفقر يضع الشريف ، ويخمل الذكر ، ويوجب الحرمان !

---

(١) أخلق جِدّته : أبلاها ، وأراق ماء وجهه .

◄ من شابه أباه فما ظلم :

دخل سَلْم بن زياد[1] على الحجاج فى أموال قبضها عنه ، فقال له : من أنت ؟ قال : سَلم . قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابن زياد . قال : ابن مَنْ ؟

قال : ابن من شاء الأمير ! فرد عليه أرضه !

زياد وشعبة بن المَخَشّ :

كان شعبة بن المخَشّ[2] مع زياد ، وكان أكولا دميماً ، فقال له زياد : ياشعبةُ مالك من الولد ؟ قال : تسع بنات . قال : أين جَمالُهن من جَمالك ؟ قال : أنا أجمل منهن ، وهُنّ آكل منى ! قال : ما أحسن ما سألت لهن ! وألحق بناته فى العيال .

▣ زياد القاضى ▣

قدم شُرَيْح القاضى مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة ، فكان زياد يجلس فى جنبه ويقول له : إن حكمتُ بشىء ترى غيره أقربَ إلى الحق منه فأعلمنيه . فكان زياد يحكم فلا يرد شريح عليه .

فيقول زياد لشريح : ما ترى فى هذا الحكم ؟!

حتى أتاه رجل من الأنصار فقال : إنى قدمت البصرة والخطط موجودة ، فأردت أن أختط لى ، فقال لى بنو عمّى ، وقد اختطوا ونزلوا : أين تخرج عنا ؟! أقِم معنا ، واختَطَّ عندنا ، فوسعوا لى ، فاتخذت فيهم دارا وتزوجت ، ثم نزغ الشيطان بيننا ، فقالوا لى : اخرج عنا !

فقال زياد : ليس لكم ذلك ؛ منعتموه أن يختط ، والخطط موجودة ، وفى أيديكم فضل ، فأعطيتموه حتى إذا ضاقت الخطط أخرجتموه ، وأردتم الإضرار به !! لا يخرج من منزله .

---

(١) سلم بن زياد بن أبى سفيان أحد أمراء الأمويين وولاتهم ولاه يزيد خراسان سنة ٦١ هجرية . [المعارف : ١٥٢] .

(٢) فى عيون الأخبار [١٢٨/٣] .

فقال شريح : يامستعيرَ القِدر اردُدْها .

قال زياد : يامستعيرَ القِدْر احبِسْها ولا ترددها .

قال محمد بن سيرين : القضاء بما قال به شريح . وقول زياد حسن !

◄ فضل عقله :

ولما عزل عمر بن الخطاب زياداً عن كتابة أبى موسى ؛ قال له : أعَن عجز أم عن خيانة ؟! قال : لا عن واحدة منهما ، ولكن كرهت أن أحمل العامة على فضل عقلك !

◄ نظرته إلى مصادر التمويل :

وينظر زياد إلى دافعى «الخَرَاج» نظرة واعية فيقول : «أحسنوا إلى أهل الخراج ، فإنكم لاتزالون سماناً ما سمنوا» .

فهل آن الأوان لنفكر بهذه العقلية فى الإحسان إلى دافعى الضرائب ، وتذليل ما يعترض طريقهم من عقبات ، فلا أخذ بغير عطاء !!

◄ والحقوق قضاء !

اختصم إلى زياد رجلان فى حقّ كان لأحدهما على الآخر ، فقال المدعى : أيها الأمير ، إنه ليسطو علىَّ بخاصّة ذكر أنّها له منك !

فقال زياد : صدق ، وسأخبرك بمنفعتها له : إن يكن الحق له عليك أخذتك به ! وإن يكن لك عليه ، حكمت عليه ، ثم قضيت عنه !

◄ شعار الحكم فى مجلس زياد :

يقول الآبى فى نثر الدر :

وكان فى مجلسه الذى يأذن فيه للناس أربعة أسطر فى نواحيه :

أوّلها : الشدة فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف .

والثانى : المحسنُ يجازَى بإحسانه ، والمسىء يكافأ بإساءته .

والثالث : العَطِيّات والأرزاق فى إبّانها ووقتها .

والرابع : لا احتجاب عن صاحب ثغر ، ولا طارق ليل .

◄ من العاقل فى نظره ؟

ويقول زياد : «ليس العاقل الذى يحتال للأمر إذا وقع ، ولكن العاقل الذى يحتال للأمر ألا يقع»[1] .

ألا ليت الذين ينتظرون حتى تقع الأحداث ثم يبدأ تحركهم يُعيدون من جديد ترتيب أوراقهم فيخطئون للمدى القريب والبعيد !

◄ خبرته بالأمور :

كتب إليه معاوية : اعزل حُرَيثَ بنَ جابر ، فإنى ما أذكر قُبّته بصِفّين[2] ! إلا كانت حرارة فى جلدى !

تُرى ماذا كان موقف زياد ؟

لقد كتب إلى معاوية يقول : خَفّض عليك أمير المؤمنين ، فقد بسَقَ حُريث بُسُوقاً[3] لا يرفعه عمل ، ولا يضعه عزل !

◄ المال عند زياد وحرصه على رعايته !

ويقول زياد : لو أن لى ألف ألف درهم ، وَلِى بعير أجرب لقمت عليه قيام رجل لا يملك غيره .

ولو أن لى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه .

◄ سياسة فتح الباب !!

ولزياد رأيه فى اتخاذ الحجاب ، ومن أجل هذا يوصى ابنه بقوله : عليك

---

(١) فى العقد الفريد ٤/٢٤١ ، ولكن العاقل يحتال للأمر حتى لا يقع .

(٢) صِفّين : موضع على شاطىء الفرات دارت بها واقعة سنة ٣٧هـ بين على ومعاوية .

(٣) بسق بسوقاً : طال ، والمراد : علا شأنه .

بالحجاب ، فإنما تجرأت الرُّعاة على السباع بكثرة نظرها إليها !

◄ فقرة من خطبه :

خطب فقال :

«الأمور جارية بأقدار الله ، والناس متصرفون بمشيئة الله ، وهم بين متسخط وراضٍ ، وكلٌّ يجرى إلى أجل وكتاب ، ويصير إلى ثواب أو عقاب .

ألا رُبّ مسرورٍ لا نَسُرّه ، وخائف ضدنا لا نَضُرُّه .

◄ زياد السياسى :

كان زياد سياسياً حازماً يعرف مواضع الشدة ، ومواضع اللين ويلبس لكل حال لَبُوسها ، ويداوى كل داء بدوائه ، وقد أخذ ذلك عن الخليفة الثانى ، وكان يتأثره ، ويحب سماع الحديث عنه ، ويعمل بسنته ، ويقضى بقضائه .

لقد جعل رائده أداء الواجب والإخلاص للمصلحة العامة ، ويدل على ذلك موقفه من «معاوية» عندما أراد أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد ، فقد رأى من واجبه ألا يعين معاوية على ما يريد ، فكتب إليه كتاباً ينصح له فيه بالتريث وعدم العجلة .

وحسب زياد فخراً أن معاوية لم يخط الخطوة الأخيرة إلا بعد موت زياد .

لقد عاش زياد فى أيام فتنة واضطراب ونقلة من عصر النبوة والخلافة إلى عصر الملك والسياسة !

أخذ بالحزم .. وأداء للواجب ، ونصح لولى الأمر .. ولا نستطيع أن نتابع الروايات التى تصوره سفاكاً سفاحاً وهو الذى نال بإجماع الأخبار رضا الأئمة المهديين عمر وعثمان وعلى وثقة عمالهم : سعد ، وأبى موسى ، وابن عامر ، وابن عباس ، وإعجاب الفرس وولاءهم !

◄ زياد الإدارى البارع !

وكان زياد إدارياً بارعاً كما كان سياسياً حازماً لا يكاد يلحق به من رجال الصدر الأول إلا قليل .

وكيف لا وقد عاشر الفرس ودهاقينهم ، وسمع أخبار الأكاسرة الأولين .

عنى بعمارة فارس والعراق : فأما فارس فقد بلغه أن الساسانيين كانوا يضعون عن الناس كل عشر سنوات خراج سنة فاقتدى بهم فى ذلك ، فعمرت فارس عمارة عظيمة .

وأما العراق فعرف من أول الأمر أهمية الرى له فحفر عدة أنهار : منها نهر معقل ، ونهر الأُبُلّة ، ونهر دبيس . وأكثر من الإقطاع وإحياء الموات .

قال المدائنى : وكان يُقْطع الرجل القطيعة ويدعه سنتين ؛ فإن عمّرها وإلا أخذها منه .

وقد عمر العراق على عهده عمارة عظيمة ، روى البلاذرى : أن جباية كُوَر البصرة على عهد زياد بلغت ستين ألف ألف درهم ، كان يرسل منها إلى معاوية أربعة آلاف فقط ، وينفق الباقى فى أعطيات الجند ، وعامة ضروب الإصلاح .

وبلغت كباية كور الكوفة على عهده أربعين ألف ألف درهم كان يرسل منها إلى معاوية ثلثى ما يرسل إليه من جباية البصرة وينفق ما تبقى فى مختلف شئون الكوفة .

وعنى العناية كلها بالشرطة والجند ، فاتخذ حرساً مؤلفاً من خمسمائة رجل لا يبرحون المسجد ، وجعل الشرطة ٤٠٠٠ رجل ، وبلغت مقاتلة البصرة فى عهده ثمانين ألفاً ، ومقاتلة الكوفة ستين ألفاً .

وكان لزياد شغف بالبناء مع ذوق فيه وحب للنظافة العامة روى الحافظ ابن عساكر فى تاريخه : أن زياداً لم يكن من القراء ولا الفقهاء ، ولكن كان يعد فى الزهاد .

وقال الأصمعى : «مكث زياد على العراق تسع سنين لم يضع لبنة ، ولم يغرس شجرة» .

يريد : أنه لم يختص نفسه ببناء ، ولا زرع تعففاً وزهداً .

◄ توقيعاتـه :

وإذا كانت التوقيعات تدل على حكمة وبعد نظر وحسن تفهم للأمور ، فإننا

نرى زياداً يوقع فى قصة متظلم : « كُفيت ! » .

ووقع فى قصة رجل شكا إليه عقوق ابنه : « ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد ! » .

◄ بين زياد وأخيه أبى بكرة :

استأذن زياد معاوية فى الحج فأذن له ، وبلغ ذلك أبا بكرة[1] ، وكان أخاه من أَمَةٍ اسمها « سُمَيّة » ، وكان قد حلف ألا يكلم زياداً حيث رجع عن الشهادة على المغيرة بن شعبة[2] ، وألا يُظله وإياه سقف بيت أبداً .

فدخل أبو بكرة دار الإمارة على زياد ، فأمر زياد بكُرْسِيَّين ، فوضعا فى صحن القصر ليمينه ، فجلس أبو بكرة على أحدهما ، وزياد على الآخر ، ومع زياد بُنَىّ له حيث مشى .

فقال أبو بكرة لابنه : تعال يابن أخى ، فجاء الصبى فجلس فى حجره فقال له : كيف أنت ؟ كيف أهلك ؟

اسمع منى يابن أخى ـ وإنما يريد أن يُسْمع زياداً ـ إن أباك هذا أحمق ، قد فجَر فى الإسلام ثلاث فجرات ما سمعنا بمثلهن :

أما أولاهن ـ فجحوده الشهادة على المغيرة ، والله يعلم أنه قد رأى ما رأينا فكتم ، وقد قال الله : ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبُه** ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

فحلفت ألا أكلمه أبداً .

وأما الأخرى ـ فانتفاؤه من عبيد[3] ، وادعاؤه إلى أبى سفيان ، وأقسم لك بالله ـ يابن أخى ـ صادقاً ، ما رأى أبو سفيان « سُمَيّة » قط فى ليل ولا نهار ، ولا فى جاهلية ولا إسلام .

---

(١) هو أبو بكرة ، نفيع بن الحارث الثقفى ، أسلم وكان من فضلاء الصحابة ، وكان كثير العبادة ، سكن البصرة ، ومات بها سنة ٥١ هـ أسد الغابة ٣٨/٦ .

(٢) فى الأغانى ١٤٠/١٤ أن أبا بكرة رأى المغيرة بن شعبة ، مع امرأة اسمها رقطاء فى وضع مريب هو وثلاثة من إخوته وصحابه ، وقد شهد هو واثنان منهما عليه بالزنا ، أما زياد فشهد بأنه رأى المغيرة يطؤها ولا علم له بما وراء ذلك ، فحدّ عمر أبابكرة والشاهدين الآخرين حد القذف .

(٣) المؤرخون يسمونه (ابن سُمية أو ابن أبيه) . وكان للحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب ، أمة تسمى سمية قد قرنها بعبد له رومى يدعى عبيداً فولدت له زياداً هذا فى السنة الأولى من الهجرة

وأما الثالثة ـ فأعظمهن . إنه يريد أن يوافى العام الموسَم ، وأم حبيبة[1] بنت أبى سفيان زوج النبى ـ ﷺ ـ تأتى الموسم كل عام ، فإن هو أتاها ، فأذنت له كما تأذن الأخت لأخيها ، فأعظم بها مصيبة ..، وإن هى حجبته وتسترت منه فأعظم بها حجةً عليه ، ثم نهض !

فقام زياد فى إثره ، وأخذ بقميصه وقال : جزاك الله من أخٍ خيراً ، فما تركت النصيحة لأخيك على حال . وترك الحج .

◄ زياد وبيت المال :

دخل زياد على عثمان ـ رضى الله عنه ـ فى خلافته بما بقى عنده لبيت المال ، فجاء ابن لعثمان فأخذ شيئاً من فضة ومضى به ، فبكى زياد .. قال عثمان : ما يبكيك ؟

قال : أتيت أمير المؤمنين عمر بمثل ما أتيتك به ، فجاء ابن له ، فأخذ درهماً ، فأمر به أن ينتزع منه حتىّ أبكى الغلام ! وإن ابنك هذا جاء فأخذ ما أخذ ؛ فلم أر أحداً قال له شيئاً ..

قال عثمان : إن عمر كان يمنع أهله وقرابته ابتغاء وجه الله . وإنى أعطى أهلى وأقربائى ابتغاء وجه الله ؛ ولن تلقى مثل عمر . لن تلقى مثل عمر !![2] .

◄ كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين !

ويروى الجاحظ فى بيانه : عن الحسن أن زياداً بعث «الحكم بن عمرو» على خُراسان فأصاب مغنماً ، فكتب إليه زياد :

إن أمير المؤمنين «معاوية» كتب إلىّ يأمرنى أن أصطفى له كل صفراء

---

(١) أم حبيبة بنت أبى سفيان : اسمها رملة ، أسلمت وهاجرت إلى الحبشة ، وتزوجها رسول الله ـ ﷺ ـ وهى بالحبشة ، وقد وكل عنه . توفيت سنة ٤٤ هـ . أسد الغابة ٣١٥/٧ .

(٢) عبقرية عمر للعقاد .

ترى كيف كان زيدا فى الفتنة التى ظهرت على الساحة العربية ؟!

يقول التاريخ : إنه لما اضطربت أمور الدولة الإسلامية بالفتنة التى انتهت بمقتل «عثمان» ـ رضى الله عنه ـ، واستخلاف «على بن أبى طالب» ـ كرم الله وجهه ـ، وخروج أهل البصرة عليه مع عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ وطلحة والزبير ، لم يحرك «زياد» فى تلك الفتن ساكناً ، ولم يَخُضْ فيها مع الخائضين ، ولا ألقى فى نارها حطباً ، بل اعتزل الفريقين كما فعل كثير غيره ، وأقام مستخفياً فى بعض دور البصرة ينتظر ماتنجلى عنه الأمور !

◄ موقف علىّ منه :

ولم يكن أمر «زياد» خافياً علَى علىّ ـ رضى الله عنه ـ فإنه بعد أن ظفر بخصومه فى وقعة «الجمل» سنة ٣٦ هـ وجاءه «عبد الرحمن بن أبى بكرة» ، وهو ابن أخى زياد لأمه مستأمِناً[١] مبايعاً ، قال له على : وأين عمك المتربص المتقاعد بى ؟!

فقال : والله ياأمير المؤمنين ، إنه لك لَوَادّ ، وإنه علَى مَسَرّتك لحريص ، ولكن بلغنى أنه يشتكى ، أفأعلم لك علمه ثم آتيك ؟

وكتم عليٌّ[٢] مكانه حتى استأمر زياداً[٣] ، فأمره أن يُعلمه بمكانه فأعلمه .

فقال على : امش أمامى فاهدنى إليه ! ففعل ، فلما دخل عليه قال : تقاعدتَ عَنّى ، وتربَّصْت ! ووضع يده على صدره وقال : هذا وجَعٌ بيّن !!

فاعتذر إليه زياد ، فقبل عذره ، ثم استشاره علىّ ، وأراده على إمْرَة البَصْرة[٤] ، فامتنع «زياد» من قبولها وقال : بل رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس .. وسأكفيه وأشير عليه .

وافترقا علَى «عبد الله بن عباس» .

---

(١) طالبا الدخول فى أمن على .
(٢) أخفى عن علىّ مكان اختبائه .
(٣) أخذ رأيه وأمره .
(٤) أن يكون والياً وأميراً عليها من قِبَل علىّ .

خطبة زياد بن أبى سفيان بالبصرة وهى الخطبة البتراء

قال أبو الحسن المدائنى بسنده :

قدم زيادٌ البصرة والياً لمعاوية بن أبى سفيان سنة ٤٥ هـ ، وضم إليه خراسان ، وسجستان ، والفِسق بالبصرة كثير فاشٍ وأموال الناس منتهبة ، فصعد المنبر ، فخطب خطبة «بتراء» لم يحمد الله فيها[١] ؛ وقال :

مقدمة يحدد فيها زياد معاصيهم :

«أما بعدُ ..، فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغَىّ[٢] الموفى[٣] بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كتابَ الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب[٤] الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته[٥] ، فى الزمن السَّرْمَدِىّ[٦] الذى لا يزول» .

توبيـــخ !

أتكونون كمن طرَفت[٧] عينَيْه الدنيا ، وسدّت مسامعَه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تُسْبَقُوا إليه ، مِنْ تَرْكِكم الضعيفَ يُقهر ، ويُؤخذ مالُه ، والضعيفةَ المسلوبةَ فى النهار المبصر ، والعددُ غير قليل .

ألم يكن منكم نُهاةٌ[٨] تمنع الغُواة[٩] عن دَلَجِ الليل[١٠] وغارة النهار ؟! قرّبتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر وتُغْضُون على المختلس .

كل امرىء منكم يَذُبُّ[١١] عن سفيهه ، صنيعَ من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً[١٢] .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ .
(٢) الغىّ : الضلال .
(٣) الموفى : المشرف .
(٤) الجزاء على أعمال الخير
(٥) المعصية : الزلة .
(٦) الأزلى الأبدى .
(٧) طرفت عينيه الدنيا : طمحت عيناه إلى الدنيا وزخرفها ، فشُغِلتا بها عن الآخرة .
(٨) النُّهاة : الزاجرون المانعون .
(٩) الغُواة : الظالمين .
(١٠) دَلَج الليل : السير فيه .
(١١) يذب : يدافع .
(١٢) المعاد : الآخرة .

ترى كيف كان زيدا فى الفتنة التى ظهرت على الساحة العربية ؟!

يقول التاريخ : إنه لما اضطربت أمور الدولة الإسلامية بالفتنة التى انتهت بمقتل «عثمان» ـ رضى الله عنه ـ، واستخلاف «على بن أبى طالب» ـ كرم الله وجهه ـ، وخروج أهل البصرة عليه مع عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ وطلحة والزبير ، لم يحرك «زياد» فى تلك الفتن ساكناً ، ولم يَخُضْ فيها مع الخائضين ، ولا ألقى فى نارها حطباً ، بل اعتزل الفريقين كما فعل كثير غيره ، وأقام مستخفياً فى بعض دور البصرة ينتظر ماتنجلى عنه الأمور !

◄ موقف علىّ منه :

ولم يكن أمر «زياد» خافياً علَى علىّ ـ رضى الله عنه ـ فإنه بعد أن ظفر بخصومه فى وقعة «الجمل» سنة ٣٦ هـ وجاءه «عبد الرحمن بن أبى بكرة» ، وهو ابن أخى زياد لأمه مستأمِناً[١] مبايعاً ، قال له على : وأين عمك المتربص المتقاعد بى ؟!

فقال : والله ياأمير المؤمنين ، إنه لك لَوَادّ ، وإنه علَى مَسَرّتِك لحريص ، ولكن بلغنى أنه يشتكى ، أفأعلم لك علمه ثم آتيك ؟

وكتم علياً[٢] مكانه حتى استأمر زياداً[٣] ، فأمره أن يُعلمه بمكانه فأعلمه .

فقال على : امش أمامى فاهدنى إليه ! ففعل ، فلما دخل عليه قال : تقاعدتَ عَنّى ، وتربَّصْت ! ووضع يده على صدره وقال : هذا وجَعٌ بيّن !!

فاعتذر إليه زياد ، فقبل عذره ، ثم استشاره علىّ ، وأراده على إمْرَة البَصْرة[٤] ، فامتنع «زياد» من قبولها وقال : بل رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس .. وسأكفيه وأشير عليه .

وافترقا علَى «عبد الله بن عباس» .

---

(١) طالبا الدخول فى أمن على .

(٢) أخفى عن علىّ مكان اختبائه .

(٣) أخذ رأيه وأمره .

(٤) أن يكون والياً وأميراً عليها من قِبَل علىّ .

إلا أن عليًّا ولّى زياداً خَراج البصرة ، وبيت مالها ، وأمر ابن عباس أن يسمع منه .

◄ ولاؤه لعلىّ حتى قتله !

من ذلك الوقت أصبح زياد من أشد عمّال علىّ إخلاصاً له ، وقد لبث على ولائه وإخلاصه له إلى أن انتهت حياة على نفسه .

◄ مقدرة زياد ودهاؤه وسعة حيلته !

لما قُتِل محمد بن أبى بكر بمصر سنة ٤٩ هـ واضطراب الأمر علَى علىّ خرج إليه بالكوفة «عبد الله بن عباس» بعد أن استخلف «زياداً» على البصرة .

ودهمَ زياداً غداة رحيل «ابن عباس» أمرٌ عظيم ؛ فإن «معاوية» أنفذ إلى «البصرة» «عبد الله بن الحضرمى» ناعياً مقتل «عثمان» ، ومحركاً لأهل البصرة علَى علىّ .

ونظر «زياد» ، فوجد نفسه فى قِلّة ، وأن أمر «البصرة» يوشك أن يذهب من يده ، فأعمل الرأى والحيلة !

ولما كان «ابن الحضرمى» قد نزل فى «بنى تميم» ، فإن زياداً أسرع فنزل ومعه الأموال فى قبيلة «الأزد» المعادية ـ هى وحليفتها : «بكر بن وائل» ـ لتميم .

وكان لنزوله فى «الأزد» معنى التحرم بالجوار المقدس عند العرب ، فقد تكفلت «الأزد» بالذّود عنه كائناً ما كان الأمر !

وهنا كتب زياد إلى علىّ يخبره بالحال ويستمدّه[1] ، فصوب علىّ رأيه ، وأنفذ إليه مدداً مع «جارية بن قدامة السعدى التميمى» .

وقد استطاع «جارية» أن يرد قومه عن اتّباع «ابن الحضرمى» ، ثم سار إلى «ابن الحضرمى» فقضى عليه وعلى أصحابه !

ورجع «زياد» إلى دار الإمارة موفور النفس والمال !

---

(١) يطلب منه مَدداً ليواجه الموقف .

وجاء فى رسالة من معاوية إلى زياد قوله :

«أُقسِم ألا أُوتَى بك إلا فى زَمّارة[1] ، تمشى حافياً من أرض فارس إلى الشام ، حتى أقيمك فى السوق ، وأبيعك عبداً !» .

وفى رسالة من زياد إلى معاوية قوله :

«لولا حلم ينهانى عنك ، وخوفى أن أُدْعى سفيهاً ، لأثرت لك مخازىَ لا يغسلها الماء .. فإن كنتُ ابن سُمَيّة ، فأنت ابن حمامة»[2] .

وراح زياد يقدر ويفكر ... ولكن !! وآهٍ مما بعد لكن !! ولكنّ زياداً رأى بثاقب ذهنه ، وبعيد نظره أن الصراع العنيف الناشب بين «على» و «معاوية» لابد له من نهاية ، يتغلب فيها أحدهما على الآخر ، وأن كِفّة «معاوية» ترجح كِفة «على» ، ورأى فى الوقت نفسه أنه قد سار أمداً بعيداً فى إحفاظ «معاوية» بأخذه جانب «على» ، هذا إلى مضاضة كان يحسها فى نفسه تجعله لا يسارع إلى «معاوية» إذا تم له الأمر ، فأولى له أن يحتاط لنفسه إذا ما وقع المحذور ، فيتحصن فى مكانه الحريز ، وبين أظهر الفرس الذين غدوا معجبين به أيما إعجاب ، ثم يفاوض «معاوية» وهو فى حِصنه ، ويساومه مساومة النّد للنّد ، ولا ينزل إليه إلا على شروط يمليها هو عليه .

وقد صدقت فراسة «زياد» ، ولكن على نحوٍ ما كان يخطر له ببال !

ففى سنة ٤٠ هـ قتل أمير المؤمنين «على بن أبى طالب» ، وأصبح «زياد» و «معاوية» فى حقيقة الأمر وجهاً لوجه .

وهنا نجد رجلين متعاديين عداء غرياً ، كلاهما لم يتعمد جناية على الآخر ، ومع ذلك فمسافة الخُلف بينهما شديدة البعد !

لقد انتقل زياد إلى القلعة وتحصن بها ومعه الأموال سنة ٤١ هـ .

انتظاراً للفرصة المواتية ، واللحظة الحاسمة !

◄ تأتى الرياح بما لا يَشتهى السُّفُن !

ولكن فراسة زياد لم تصدق هذه المرة ، فسرعان ما نزل الحسن عن حقه فى

---

(١) زمّارة : جماعة تُزَمّر .

(٢) أدب السياسة فى العصر الأموى للدكتور الحوفى .

قال أبو سفيان : أما والله إنى لأعرف أباه ، والذى وضعه فى رحم أمه .

فقال له على : ـ رضى الله عنه ـ مَهْ ياأبا سفيان ، فإنك تعلم أن عُمرَ بالمساءة إليك سريعٌ !

فلما كان زمن «على» ـ رضى الله عنه ـ وَوُلّى زياد فارسَ ، وضبطها وعرف ذلك «معاوية» ، كتب إليه :

أما بعد ، فإنه غَرّتْك قلاعٌ تأوى إليها بالليل كما تأوى الطيرُ إلى وكورها ، وآيمُ الله ، إنه لولا انتظارى بك ما الله أعلم به ، لقلت كما قال العبد الصالح (سليمان ـ عليه السلام ـ) : ﴿ **فلنأتينهم بجنود لا قِبَل لهم بها ولنخرجنّهم منها أذلة وهم صاغرون** ﴾ [النمل : ٣٧] .

وكتب فى أسفل كتابه شعراً يقول فيه :

تنسى أباك وقد خفّت نعامَتُه
إذْ تخطبُ الناسَ والوالى لنا عُمَرُ !!

فقام زياد فخطب ، ثم قال :

« والعجب كل العجب أن ابن آكلة الأكباد[1] ، ورأس النفاق ، يهددنى ، وبينى وبينه ابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ وزوج سيدة نساء العالمين ، وأبو السِّبطين : (الحسن والحسين) ، وصاحب الولاء والمنزلة والإخاء !!

أما والله لو يأذن لى فيه لوجدنى أحمر محِشًّا[2] ضَروباً بالسيف » .

وكتب إلى على ـ رضى الله عنه ـ بما كتب إليه معاوية ، فكتب إليه على ـ رضى الله عنه ـ:

«أما بعد ، فإنى ولّيْتُك ما ولّيْتُك ، وأنا أراك لذلك أهلاً ، وإنه قد كانت من أبى سفيان فلتة لزمان غَبَر من أمانى التيه[3] ، وكذب اليقين ، لم تستوجب بها ميراثاً ، ولم تستحق بها نسباً ، وإن معاوية يأتى الرجل من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، كالشيطان الرجيم ، فاحذره ، ثم احذره ، والسلام ! »

---

(١) آكلة الأكباد : هند أم معاوية .

(٢) محشًّا : أى موقداً للحرب .

(٣) التيه : الحيرة ، أو التكبر .

وجاء فى رسالة من معاوية إلى زياد قوله :

«أُقسِم ألا أُوتَى بك إلا فى زَمّارة[1] ، تمشى حافياً من أرض فارس إلى الشام ، حتى أقيمك فى السوق ، وأبيعك عبداً !» .

وفى رسالة من زياد إلى معاوية قوله :

«لولا حلم ينهانى عنك ، وخوفى أن أُدْعى سفيهاً ، لأثرت لك مخازىَ لا يغسلها الماء .. فإن كنتُ ابن سُمَيّة ، فأنت ابن حمامة»[2] .

وراح زياد يقدر ويفكر ... ولكن !! وآهٍ مما بعد لكن !! ولكنّ زياداً رأى بثاقب ذهنه ، وبعيد نظره أن الصراع العنيف الناشب بين «على» و «معاوية» لابد له من نهاية ، يتغلب فيها أحدهما على الآخر ، وأن كِفّة «معاوية» ترجح كِفة «على» ، ورأى فى الوقت نفسه أنه قد سار أمداً بعيداً فى إحفاظ «معاوية» بأخذه جانب «على» ، هذا إلى مضاضة كان يحسها فى نفسه تجعله لا يسارع إلى «معاوية» إذا تم له الأمر ، فأولى له أن يحتاط لنفسه إذا ما وقع المحذور ، فيتحصن فى مكانه الحريز ، وبين أظهر الفرس الذين غدوا معجبين به أيما إعجاب ، ثم يفاوض «معاوية» وهو فى حِصنه ، ويساومه مساومة النّد للنِّد ، ولا ينزل إليه إلا على شروط يمليها هو عليه .

وقد صدقت فراسة «زياد» ، ولكن على نحوٍ ما كان يخطر له ببال !

ففى سنة ٤٠ هـ قتل أمير المؤمنين «على بن أبى طالب» ، وأصبح «زياد» و «معاوية» فى حقيقة الأمر وجهاً لوجه .

وهنا نجد رجلين متعاديين عداء غريباً ، كلاهما لم يتعمد جناية على الآخر ، ومع ذلك فمسافة الخُلف بينهما شديدة البعد !

لقد انتقل زياد إلى القلعة وتحصن بها ومعه الأموال سنة ٤١ هـ .

انتظاراً للفرصة المواتية ، واللحظة الحاسمة !

◄ تأتى الرياح بما لا يَشتهى السُّفن !

ولكن فراسة زياد لم تصدق هذه المرة ، فسرعان ما نزل الحسن عن حقه فى

---

(١) زمّارة : جماعة تُزَمِّر .

(٢) أدب السياسة فى العصر الأموى للدكتور الحوفى .

الخلافة لمعاوية ـ حقناً للدماء ـ وقَدِم «معاوية» الكوفة ليُنهى أمر العراق والمشرق جميعاً ، وخلا ما بين «زياد» و «معاوية» مرة أخرى ، يجاذب زياداً الحبل ، ولكن فى غير تهديد ولا وعيد .

داهيتان يتصارعان كلاهما بعيد النظر واسع الحيلة ، عظيم الدهاء !

غير أن معاوية ـ من غير شك ـ كان أستاذ فن الدهاء فهو أعظم الرجلين دهاءً ، وأوسعهما حيلة !

لقد كان معاوية بالطبع هو البادىء بفتح باب المفاوضة والمراوضة !

◄ معاوية يكتب إلى زياد :

وهنا بدأ معاوية يستخدم حيلته ودهاءه :

كتب إلى زياد يدعوه أن يقدم عليه لكى يحاسبه على ما فى ذمته من أموال الدولة تاركاً له أن يقرر فيما بعد الإقامة عنده أو العودة إلى مكانه !

◄ فماذا فعل زياد ؟

لقد أصَمَّ أُذُنَه عن تلك الدعوة ، وكأن شيئاً لم يكن ؟ وهنا راح معاوية يجرب سياسةَ العُنْف بعد أن جرب سياسة اللين !

اتصل بعامله على البصرة «بُسْر بن أرطاة» وأمره أن يأخذ الأكابر من أولاد زياد ويحبسهم .

كما أصدر أمره إلى عامله على الكوفة «المغيرة بن شعبة» بالتحرك نحو البصرة للاستيلاء على الأموال الخاصة بزياد وتعذيب «عبد الرحمن بن أبى بكرة» الذى يضع يده عليها إن هو امتنع من أدائها .

ترى هل لانت لزياد قناة ؟

يقول التاريخ : إن زياداً لم تلن له قناة أمام هذا الجد من معاوية ! وهَمّ «بُسْر» بأن يقتل أبناء زياد فعلاً لولا أن تدخل فى الأمر أخوه لأمه «أبو بكرة» على الرغم مما بينه وبين «زياد» من جفوة وقطيعة منذ تلك الشهادة التى شهدها «زياد» فى حادث «المغيرة» ، فأنقذته من إقامة الحد عليه !

تدخل «أبو بكرة» فى الأمر وشفع لدى «معاوية» فى أبناء زياد فشفعه

فيهم[1] ، وكتب إلى «بُسْر» أن يخلى سبيلهم .

وتعقَّد الموقف بين الداهيتين : «زياد» و «معاوية» ، واهتم معاوية لأمر زياد[2] ، وضاق به ذرعاً ، وكادت «شَعْرَتُه» المشهورة تنقطع بينهما وقد تجاذباه !! لولا أن تداركها داهية ثالث هو «المغيرة بن شعبة» !! كما أشرنا إلى هذا الدور من قبل عند الكلام على دهاء المغيرة .

إن معاوية يثق بالمغيرة فهو عامله على الكوفة ، ولزياد عند المغيرة يد لا ينساها منذ درأ عنه الحد !

فمالَه لا يتطوع للسفارة بين الداهيتين ويُبْقى على «شَعْرة معاوية» سليمة متينة ؟!

قالوا : إنه دخل يوماً على «معاوية» وهو بالكوفة ، فقال معاوية حين وقع نظره عليه :

إنما مـــــــوضعُ سرِّ المرء إن باح بالســر أخـوه المنتصـح
فإذا بُحـتَ بسـرٍّ فإلـى ناصـح يكتمـه أو لاتبـح

فقال : ياأمير المؤمنين !

إن تستودعنى تستودع ناصحاً شفيقاً ، ورعاً وثيقاً ، فماذاك ؟ قال : قد ذكرتُ زياداً واعتصامه بأرض فارس وامتناعه بها فلم أنم ليلتى !!

فأراد «المغيرة» أن يهون من شأن «زياد» فقال : مازياد هناك[3] !!

فقال معاوية : داهية العرب ، معه الأموال ، مُتَحَصِّنٌ بقلاع فارس يدبر الحيل ، ويتربص !

ما يؤمننى أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هو قد أعاد علىّ الحربَ جذعة[4] ؟!

قال المغيرة : أتأذن لى ياأمير المؤمنين فى إتيانه ؟

---

(١) قبل شفاعته .
(٢) أصابه الهم والحزن
(٣) للتهوين من أمره !
(٤) يقال : أعدت الأمر جذعاً : جديداً كما بدأ .

قال : نعم ؛ فأْتِه وتلطّف له !

فأتى المغيرة زياداً ، وأعلمه بنزول «الحسن» عن الأمر ، وأن الأَوْلى له أن يصل حبله بحبل معاوية ، ومازال به حتى جنح زياد إلى السِّلم ، وأخبره بأنه شاخص إلى معاوية !

وهنا راح زياد يهيىء الأذهان فى فارس ويحولها معه حيث يميل .

وهنا يكمن الدهاء والخبرة بنفوس البشر ، وتتجلى مواهب زياد .. تُرى ماذا فعل لتحقيق هذا التحول ؟!

▣ خطبة زياد التمهيدية ▣

لما بدأ زياد يجنح إلى معاوية[1] ، أراد أن يهيىء الناس فى فارس ليجنحوا معه ، فخطب فيهم خطبةً تدل على دهائه ، وخبرته بنفوس البشر !

مَهَّد بها لتحوله فى غير تصريح ولا كشف ، وقد وصفها هو نفسه فى كتابه إلى معاوية بأنها :

«يعيا بها الخطيبُ المِدْرَه[2] ، تركت من حَضَر ، لا أهل وِرْدٍ[3] ولا صَدَر كالمتحيرين بمَهْمَهٍ ضلّ بهم الدليل ، وأنا على أمثال ذلك قدير» .

وقد جاء فيها : «أيها الناس ، ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا إلى الله فى دوام العافية لكم ؛ فقد نظرت فى أمور الناس منذ قتل عثمان ، وفكرت فيهم ، فوجدتهم كالأضاحى فى كل عيد يُذبحون !

ولقد أفنى هذان اليومان : «يوم الجمل» و «صِفّين» ، ما يُنيف على مائة ألف ! كلهم يزعم أنه طالب حق ، وتابع إمام ، وعلى بصيرة من أمره ، فإن كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول فى الجنة .

---

(١) كان والياً لعلىٍّ على فارس ، ثم تولى لمعاوية على البصرة من سنة ٤٥ ، ثم عليها وعلى الكوفة سنة ٥١ بعد المغيرة بن شعبة .

(٢) المِدْرَه : زعيم القوم وخطيبهم المتكلم عنهم والمحامى والسيد الشريف .

(٣) أهل الوِرْد : من يردون الماء . وأهل الصَدَر : من يصدرون عن الماء بعد ورودهم عليه . وغيرهما قد ضل طريقه .

كلا .. ليس كذلك ، ولئن أشكل الأمر ، والتبس على القوم .

وإنى لخائف من أن يرجع الأمر كما بدأ ، فكيف لامرىء بسلامة دينه ؟!

وقد نظرت فى أمر الناس ، فوجدت أحمد العاقبتين العافية ، وسأعمل فى أموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته ، فقد حمدتُ طاعتكم إن شاء الله» .

وعندئذ توجه زياد للقاء معاوية وهو مطمئن إلى من هم وراءه !

فماذا كان عند ذاك اللقاء ؟!

◄ لقاء الداهيتين !

عندما قدم زياد على «معاوية» بدمشق سنة ٤٣ هـ رفع إليه حساب فارس، فتلطف له معاوية ، وصدق كل ما قاله ، ثم أنزله الكوفة بناء على رغبته !

لكن هل كان «معاوية» آنذاك مطمئن القلب من ناحية «زياد» ؟ وهل ركن إليه كل الركون ؟

يقول التاريخ : إن «معاوية» لم يركن إلى «زياد» كل الركون ، فقد كتب إلى «المغيرة بن شعبة» يأمره أن يأخذ «زياداً» ورءوس أضحاب علىّ بالكوفة كـ «حُجْر بن عدى الكندى» و «عمرو بن الحمق» بحضور صلاة الجماعة ، فكانوا يصلونها معه .

◄ دهاء معاوية لا يقف عند حد !

ولقد كان «معاوية» أدهى من أن يقف فى أمر زياد عند هذا الحد ، إنه يأمل فيما هو أبعد وأبعد !!

لقد أراد أن يستخلصه لنفسه ، ويجتذبه إلى جانبه جملة ! وبذلك يتيسر له الانتفاع بكفايته ومواهبه العظيمة ! ولكن كيف السبيل إلى ذلك قبل أن يمحو ما كان يحسه زياد من المضاضة ؟!

لابد من أن يعلن على رءوس الأشهاد صحة ما كان يتهامس به الناس من نسبة زياد إلى أبى سفيان !

إن زياداً حتى ذلك الوقت لا يُعْرَف له أبٌ على التعيين ، فبعضهم كان ينسبه إلى «عبيد» ، وهو عبد رومى كان للحارث بن كلدة ، وبعضهم كان ينسبه إلى

أبى سفيان ، وبعضهم كان ينسبه إلى أمه ، فيقول : «زياد بن سُمَيّة» .

وبعضهم يسميه «زيادَ بن أبيه» أياً كان ذلك الأب . إلا أن ذلك الغموض فى النسب لم يلحق زياداً منه سبة ولا عار ، فقد بلغ أسنى المراتب ، وهذا مما يدل على سماحة السياسة فى ذلك الزمان وسعة أفقها .

فما كان من معاوية إلا أن أخذ بإقرار أبى سفيان ، وبشهادة شهود شهدوا ببنوة زياد لأبى سفيان ، وأعلن فى الآفاق أن «زياداً» . أخوه لأبيه .

ولقد أثار معاوية بعمله هذا دهشة الرأى العام ، وامْتِعَاضَ بنى أمية ، وسخط بعض رجال الفقه والحديث ، فقد رأوا فيما فعل مخالفة لقضاء الرسول ـ ﷺ ـ بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر !

وقد يكون معاوية نظر إلى أن هذه المسألة وقعت وقائعها الأصلية قبل الإسلام أبى سفيان وأن الإسلام حين جاء حكم بصحة أنساب الجاهلية الصادرة عن نظمهم فى الزواج ، وإن لم يقر هذه النظم وعدها سفاحاً .

لقد كان معاوية سياسياً راح يتوخى الصالح العام الذى كان يقضى باصطناع تلك الشخصية الفذة ، والانتفاع بها فى إدارة الدولة ، وعندما فشت القالة واشتد النكير عليه قام فى الناس خطيباً فقال :

«أما والله لقد علمت العرب أنى كنت أعزها فى الجاهلية وأن الإسلام لم يزدنى إلا عزاً ، وإنى لم أتكثر بزياد من ذِلّة ، ولكن عرفت حقاً فوضعته موضعه» .

ويقول المؤرخون : إن يكن «معاوية» قد أظهر فى هذه المسألة شيئاً ، فقد أظهر شجاعة أدبية نادرة المثال ، وسعة فكر لا يقاس بها ضيق فكر الخليفة المهدى العباسى الذى أمر فى سنة ١٦٠ بإخراج آل زياد من ديوان قريش وردهم إلى ثقيف .

ويقولون أيضاً : إن زياداً لما قدم على معاوية جمع معاوية الناس ، وصعد على المنبر ، وأصعد معه زياداً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس ، إنى قد عرفت شبهنا أهلَ البيت فى زياد ، فمن كانت عنده شهادة ، فليقم بها ، فقام الناس ، فشهدوا أنه ابن أبى سفيان ، وأقرّبه قبل موته !» .

ثم قام زياد ، وأنصت الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن

معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتم ، ولست أدرى حقّ هذا من باطِله ، وهو والشهود أعلم بما قالوا . وإنما «عبيد» أب مبرور ، أو والد مشكور ، ثم نزل .

◄ الرجل المناسب فى المكان المناسب :

سوف يظل عام ٤٤ هـ عاماً حاسماً فى حياة زياد ، فقد أصبح أخاً للخليفة معاوية .

وسوف يظل عام ٤٥ هـ عاماً حاسماً فى حياة معاوية فقد آن له أن يستريح من ناحية البصرة التى اختلت أمورها اختلالاً كبيراً ، وكثر فى نواحيها عبث الخوارج ، والتلصص وقطاع الطرق ، وعجز كل من ولاهم معاوية أمرها عن إصلاح حالها ، وأصبحت الحاجة ماسّة إلى رجل حازم عليم بالسياسة والإدارة .

وهنا رأى معاوية أن ينتفع بأخيه الجديد ومواهبه ، فليس هناك من هو أقدر منه على تحمل هذا العبء من زياد بن أبى سفيان !

لقد ولاه فى سنة ٤٥ هـ على البصرة ، وخُراسان ، وسجستان ثم جمع له الهند (ثغر الأُبلّة وما إليها) ، والبحرين وعمان .

فكيف تسنى لزياد أن يعيد المياه إلى مجاريها ويخمد الفتنة فى مهدها ويعيد الأمن والطمأنينة إلى ربوع البلاد !!

خطبة زياد بن أبى سفيان بالبصرة وهى الخطبة البتراء

قال أبو الحسن المدائنى بسنده :

قدم زيادٌ البصرة والياً لمعاوية بن أبى سفيان سنة ٤٥ هـ ، وضم إليه خراسان ، وسجستان ، والفِسق بالبصرة كثير فاشٍ وأموال الناس منتهبة ، فصعد المنبر ، فخطب خطبة « بتراء » لم يحمد الله فيها[١] ؛ وقال :

مقدمة يحدد فيها زياد معاصيهم :

« أما بعدُ ... ، فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغَىّ[٢] الموفى[٣] بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كتابَ الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب[٤] الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته[٥] ، فى الزمن السَّرْمَدِىّ[٦] الذى لا يزول » .

توبيـــخ !

أتكونون كمن طَرَفت[٧] عينَيْه الدنيا ، وسدّت مسامعَه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تُسْبَقُوا إليه ، مِنْ تَرْكِكم الضعيفَ يُقهر ، ويُؤخذ مالُه ، والضعيفةَ المسلوبةَ فى النهار المبصر ، والعددُ غير قليل .

ألم يكن منكم نُهاةٌ[٨] تمنع الغُواة[٩] عن دَلَجِ الليل[١٠] وغارة النهار ؟! قرّبتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر وتُغْضُون على المختلس .

كل امرىء منكم يَذُبُّ[١١] عن سفيهه ، صنيعَ من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً[١٢] .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ .
(٢) الغىّ : الضلال .
(٣) الموفى : المشرف .
(٤) الجزاء على أعمال الخير
(٥) المعصية : الزلة .
(٦) الأزلى الأبدى .
(٧) طرفت عينيه الدنيا : طمحت عيناه إلى الدنيا وزخرفها ، فشُغِلتا بها عن الآخرة .
(٨) النهاة : الزاجرون المانعون .
(٩) الغواة : الظالمين .
(١٠) دَلَج الليل : السير فيه .
(١١) يذب : يدافع .
(١٢) المعاد : الآخرة .

ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يَزَل بكم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حُرَم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً[1] فى مكانس الرِّيَب .

◄ إعلان العقوبات التى أحدثها لذنوبهم :

حرام علىّ الطعام والشراب حتى أسويهَا بالأرض هدماً وإحراقاً !!

إنى رأيت هذا الأمر لا يصلح إلا بما صَلُح به أوّلُه ، ليّن فى غير ضُعف ، وشدة فى غير عُنف !

◄ من مظاهر ظلمه :

وإنى أقسم بالله لآخذَنّ الولىَّ بالمولى[2] ، والمقيم بالظاعن[3] ، والمُقْبِل بالمدبر ، والمطيع بالعاصى ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : «انْجُ سَعْد فقد هلك سعيد» أو تستقيم لى قناتكم[4] .

◄ استطراد بتأكيد العزم :

إن كذبة الأمير بلقاء[5] مشهورة ، فإذا تعلقتم علىّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتى .

فإذا سمعتموها منى فاغتمزوها فىّ . واعلموا أن عندى أمثالها .

من نُقِبَ منكم عليه ، فأنا ضامن لما ذهب منه . فإيّاىَ ودَلَج الليل !؛ فإنى لا أوتى بمُدْلِج[6] إلا سفكت دمه .

وقد أجّلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ، ويرجع إليكم . وإياى

---

(١) الكنوس : المختبئون . المكانس : الملاجىء ، وتكون للوحوش تختبىء فيها . الرّيَب : التهم . جمع ريبة . أى مختبئون فى مخابىء المعصية والفساد .

(٢) الولى : السيد . المولى : العبد .

(٣) الظاعن : المسافر .

(٤) أو ناصبة لأنها أتت بمعنى إلى أن . وأصل المثل : أن سعداً وسعيداً ابنى ضَبّة خرجا يطلبان إبلاهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد ، فكان ضبة إذا رأى سواداً بالليل قال : سعد أم سعيد ؟

(٥) بلقاء : أى واضحة ظاهرة من البلق وهو سواد وبياض .

(٦) مدلج : سائر بليل .

ودعوى الجاهلية[1] ؛ فإنى لا أجد أحداً دعابها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن .

وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة : فمن غرّق قوماً غرّقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقَب عن بيت نقَبْنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفنّاه فيه حياً[2] !

فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكُفُفْ عنكم يدى ولسانى .

ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه .

◄ إيهامهم بالعدل واللين :

وقد كان بينى وبين أقوام إحن[3] ، فجعلت ذلك دَبْر[4] أذنى ، وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته .

إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك[5] له ستراً ، حتى يبدى لى صفحته[6] ، فإذا فعل ذلك لم أناظره .

فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيُسَرّ ، ومسرور بقدومنا سيبتئس .

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خوّلنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم العدل فيما وَلينا ، فاستوجبوا عدلنا ، وفيئنا بمناصحتكم لنا .

واعلموا أنى مهما قصرت عنه ، فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ، ولو أتانى طارقاً بليل ، ولا حابساً عطاء ، ولا رزقاً عن إبّانه ، ولا مجمّراً لكم بعثاً[7] .

---

(١) دعوى الجاهلية : دعوى العصبية والنزق ، والتعصب الأعمى للقبيلة ، والانحياز للقريب دون رعاية للصالح العام .

(٢) وصدق فيه قول الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم !

(٣) الإحن : الأحقاد .

(٤) دَبْر : خلف .

(٥) أهتك : أشق .

(٦) يبدى لى صفحته : يكاشفنى

(٧) يقال : جَمرّ الجيش : جمعهم فى الثغور ، وحبسهم عن العودة إلى أهليهم .

◄ تحـذيـر :

وايم الله إن فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى» .

◄ تعليق السامعين على الخطبة :

(أ) فقام عبد الله بن الأهتم ، فقال : أشهد أيها الأمير ، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقال له : كذبت ، ذاك نبى الله داود ـ عليه السلام ـ.

(ب) وقام إليه الأحنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإننا لا نُثنى حتى نبتلى ، ولا نحمد حتى نُعْطَى .

فقال زياد : صدقت .

(جـ) فقام أبو بلال يهمس وهو يقول : أنبأنا الله ـ جلّ وعَزّ ـ بغير ما قلت : قال الله تعالى : ﴿ **وإبراهيم الذى وفّى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى * ثم يُجزاه الجزاء الأوفى** ﴾ [النجم : ٣٧ ـ ٤١]

وأنت تزعم أنك تأخذ الصحيح بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدْبِر !!

فسمعها زياد ، فقال : إنا لا نبلغ ما نريد بأصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً[1] .

وفى الخطبة كما ترى ـ اجتراء على عقوبات لم يسنها الدين ، وترفع على المحكومين !

◄ القول والفعل :

لقد أعلن زياد عزمه على هدم المواخير ودور الفساد .. ونهى عن دلج الليل نهياً باتاً ضرباً على أيدى المتلصصة وقطاع الطرق من الأعراب .

ونهى عن دعوى الجاهلية منعاً لتعصب القبائل بعضها على بعض .

---

(١) أى أنه لن يتمكن من إحلال النظام ، واستتباب الأمن إلا عن طريق العنف والشدة ، ولو خالف كل مألوف ، وجاوز حد الشرع .

وأعلن تضامن الناس فى حفظ النظام

إلا أن زياداً وإن كان شدد الوطأة على أصحاب الريب والفساد فإنه سكن خواطر الصلحاء وجهد فى استمالة المنحرفين عنه ، ثم بين لهم حرصه على مصلحتهم .

وكان زياد عند قوله ، فما تعلق عليه أحد بكذبة ، ولقد أنفذ وعيده هذا فى حالات تعد على أصابع اليد الواحدة بقصد الإرهاب لا حباً فى سفك الدماء ، فاستقامت أمور البصرة ؛ ولما تم له ذلك تكلف ضبط الأمر فى نواحيها فاستكفى كل قبيلة من فيها من الخوارج ، فكسر بذلك شِرّة تلك الفرقة العاتية ، وعم الأمر أطراف البصرة ونواحيها حتى قال زياد : «لو فقد حبل بينى وبين خراسان لعرفت من أخذه !»

ولقد بلغ من ضبط زياد البصرة وأعمالها أنه لما توفى المغيرة بن شعبة سنة ٥٠ هـ لم يتردد معاوية فى ضم إمارة الكوفة وأعمالها إلى زياد .

◄ الكوفة بعد البصرة !

كان الخطر بالبصرة آتياً من قِبَل أهل الريب والفساد والخوارج وتعصب القبائل .

ولكنه بالكوفة آتٍ من قبل الشيعة الذين كانوا لا يعترفون بسلطان معاوية ، ووجدوا فى «لعن علىّ» على منابرهم فرصة لإعلان معارضتهم وسخطهم ، فكانوا يقابلون ذلك بلعن معاوية وعماله ، والترحم على أبى تراب .

ولقد رأى معاوية فيهم خطراً يتهدد حكمه ، فأمر المغيرة بن شعبة بمراقبتهم أثناء فترة ولايته وفى أخريات عهده .

لكن المغيرة بن شعبة ـ فى أخريات حياته ـ كان قد آثر الرفق واللين وحب السلامة والعافية ، فكان يكتفى من الشيعة بالإخلاد إلى السكون ، وعدم مخالفة الجماعة ، وليقولوا بعد ذلك ما شاءوا !! فلما أسندت ولاية الكوفة إلى زياد بعد وفاة المغيرة قدمها وشدد القبضة على رؤساء الشيعة : حجر بن عدى وأصحابه على الرغم من الصداقة القديمة التى كانت تربطه بهم ، ولكن الصداقة شىء ، وأداء الواجب الحكومى شىء آخر .

ولما أحس منهم المقاومة لسلطانه ، والمجاهرة بلعن معاوية وعماله والترحم علَى عليّ قبض على حُجْر بن عدى وبضعة عشر رجلاً كانوا زعماءهم وحصل على شهادة بإدانتهم وأنهم قد خالفوا الجماعة ، وشقوا عصا الطاعة ، ثم بعث بهم إلى معاوية !، ويضيق حلم معاوية فيأمْر بقتل ستة منهم فيهم حُجْر بن عدى بمرج عذراء بظاهر دمشق سنة ٥١ هـ .

▣ زيادٌ يخضع الكوفة أيضاً ! ▣

قال الشعبى : قدم زياد الكوفة ، فدنوت من المنبر لأسمع كلامه ، فلم أر أحداً يتكلم فيُحسن إلا تمنيت أن يسكتَ مخافة أن يُسيء غير زياد ؛ فإنه كان لا يزداد إكثاراً إلا ازداد إحساناً ، فقال بعد أن حمد الله :

« إن هذا الأمر أتانى وأنا بالبصرة ، فأردت أن أخرج إليكم فى ألفين من شُرَطِها ، ثم ذكرت أنكم أهل حق ، وأن الحق طالما دفع الباطل . فخرجت إليكم أهل بيتى .

فالحمد لله الذى رفع مِنَّا ما وضع الناس ، وحفظ مِنَّا ما ضيعوا .

أيها الناس ، إننا سُسْنا ، وساسنا السائسون ، وجرَّبنا وجرَّبَنا المجرِّبون ، فوجدنا هذا الأمر لا يُصلحه إلا شدة من غير عنف ، ولين فى غير ضعف !

فلا أعلَمَنّ أنا أغلقنا باباً ففتحتموه ، ولا حللنا عقداً فشددتموه . وإنى لا أعدكم خيراً ولا شراً إلا وفَّيْتُ به . فإذا تعلقم لى بكذبةٍ فلا ولاية لى عليكم .

وإنى آمركم بما آمر به نفسى وأهلى ، فمن حال دون أمرى ، ضربت عنقه !

ألا وإنى لا أهتك لأحد منكم سِتْراً ، ولا أطلَع من وراء باب ، ولا أُقيلُ أحداً منكم عثرة !

قال : فحصبوه من كل جانب ، فجلس على المنبر حتى سكتوا ، وأمسكوا ثم نادى الشُّرَط ، فأخذوا بأبواب المسجد ، وألقى كرسياً على بعض الأبواب ثم عرض الناس : أربعةً أربعة يستحلفهم ، فمن حلف أنه لم يَحصِبْه تركه ، ومن أبى حبسه .

قال : فقطع يومئذ أيدى ثمانين إنساناً ممن لم يحلف .

قال الحسن البصرى : أوعد عمر بن الخطاب فعوفى . وأوعد زياد فابتُلِى .

وقال أيضاً : تشبه زياد بعمر فأفرط ! وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس !

الهـــدوء !!

وهدأت أحوال الكوفة إلى حد أن استطاع زياد أن يكتب إلى معاوية يقول : «إنى قد ضبطت العراق بشمالى ، ويمينى فارغة !» .

يعرض برغبته فى أن تضم إليه اليمامة لا الحجاز ، كما جاء فى بعض الروايات . فضم إليه اليمامة وما إليها .

ولم تطل حياة زياد بعد هذا فقد أصابه الفالج ، وتوفى فى رمضان عام ٥٣ هـ ، ودفن بظاهر الكوفة .

ومازال الناس يتحدثون عن زياد العصامى الذى يصدق فيه قول القائل :

نفس عصام سوّدت عصامـــــا وعلمتـــه الكـــرّ والإقدامـــــا

ولا ينسى الناس أبداً رفقاء الدهاء : «معاوية» و «عمرو بن العاص» و «المغيرة بن شعبة» كلما ذكروا «زياداً» .

والحمد لله أولاً وأخيراً ...

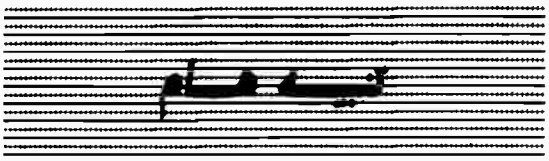

جاء فى «حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة» :

اختار فى مشاجرة الأصحاب والصحابيات :

ألا يخاض فيها ، ويُحسن الظن بهم وبهن ، ولا يسلك مسلك الخوارج والروافض فى السب والشتم ، وجحد الفضائل ، وإنكار الفواضل ، فإن ذلك من عمل الشيطان ، وقد أضل جِبِلًا كثيراً من هذه الأمة ، وذهب بهم إلى الغواية !

عصمنا الله ـ تعالى ـ

أهم الأحداث التاريخية

أهم الأحداث	التاريخ الهجرى سنة	التاريخ الميلادى سنة
موت النبى ـ ﷺ ـ وخلافة أبى بكر	١٢	٦٣٢
خلافة عمر بن الخطاب	١٣	٦٣٤
وقعة القادسية	١٤	٦٣٥
فتح بيت المقدس	١٤	٦٣٥
تأسيس البصرة	١٤	٦٣٥
فتح دمشق	١٤	٦٣٥
تأسيس الكوفة	١٧	٦٣٨
فتح الشام والعراق	١٧	٦٣٨
فتح مصر	٢٠	٦٤٠
وقعة نهاوند وفتح فارس	٢١	٦٤١
خلافة عثمان	٢٣	٦٤٣
خلافة على	٣٥	٦٥٥
وقعة الجمل	٣٦	٦٥٦
موت على	٤٠	٦٦٠
خلافة معاوية بن أبى سفيان	٤١	٦٦١
موت الحسن بن على	٤١	٦٦١
خلافة يزيد بن معاوية	٦٠	٦٧٩